

شعر المقاومة في باكستان

د. حامد أشرف همداني ☆

Abstract

Resistance poetry is an important genre of Arabic literature. Arabic poets of Pakistan have also contributed in this genre. History of resistance poetry in the sub-continent dates back to the toppling down of the Muslim Rule by the hands of the British. Shah WaliUllah, Abdul Aziz Dehlvi, Fazal Haq Khairbadi, Izaz Ali Deobandi, Nazir Ahmad Dehlvi, Abdullah Kokni and Hamiddin Farahi are some who penned on the topic. Among Pakistani resistance poets there are Asghar Ali Rohi, Zafar Ahmad Usmani, Muhammad Nazim Nadvi, Pir Muhammad Hasan, Dr. Khurshed Hasan Rizvi and and Mufti Saeed Ahmad Hasan. Their resistance poetry revolves round the issues relating to Palestine, Kashmir, Afghanistan, Iraq, Bosnia and Chechnya. Beside introduction of the resistance poets of Pakistan, the article presents the study of the topic in the light of their master pieces.

شاع استخدام مصطلح "أدب المقاومة" خلال النصف الآخر من القرن العشرين. وربما لعبت آثار معركة يونيو ١٩٦٧م دوراً في شيوع المصطلح، بحيث راج وانتشر أكثر من مصطلحات شاعت قبله: "أدب المعركة"، "أدب الحرب"، "أدب النضال" ... كما رسخ بعد الانتفاضة الأولى والثانية وحتى الآن.

☆ الأستاذ المساعد بالقسم العربي، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

وإجمالاً يمكن تقديم التعريف التالي لأدب المقاومة:

”هو الأدب المعبر عن الذات (الواعية بهويتها) و (المتطلعة إلى الحرية) ... في مواجهة الآخر العدواني، على أن يضع الكاتب نصب عينيه جماعته وأمته، ومحافظاً على كل ما تحفظه من قيم عليا ... وليس متطعاً إلى الحرية بمعنى الخلاص الفردي“ (١)

بدأ شعر المقاومة في شبه القارة في عصر كانت دولة المسلمين تنهار، وبساطهم يطوى على أيدي الإنجليز المحتلين الذين قوي نفوذهم في بقاع شبه القارة منذ سنة ١٧٥٧م، لما انتصروا في حرب ”بلاسي“، وأخيراً توسع هذا الاحتلال وشمل سائر أجزاء الهند.

ويبدو هذا الغرض في شعر الشاه ولي الله الدهلوي، وقد أحس بالخطر الإنجليزي وعبر في شعره عنه وسعى لتكوين قوة مدافعة ضده حيث إنه استدعى ملك أفغانستان أحمد شاه أبدالي ليقوم بدور منقذينجي المسلمين من أخطار تواجدهم، كما ينص عليه تاريخ هذه الفترة. ومما قاله شعراً يتصف بهما الاتجاه قصيلته المدحية المشهورة ببائيته المسماة بأطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم، فمن مستهلها يأخذ النظر في عاقبة القوم والفكر في تخليصه وإبقاء وجوده وإعداده لمواجهة التحديات وإطلاعهم على ذريعة يستطيع بها النجاة من المهلكة:

كأن نجوماً أو مضت في الغياهب عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب

وبه يشير إلى سوء الحالات السياسية والبلوى التي عمت البقاع والخطر

الذي اقترب وهذا الذي يقلق الشاعر ويبعد الراحة عنه:

وتشغلني عني وعن كل راحتي مصائب تقفو مثلها في المصائب

أما طريق النجاة ووسيلة التخلص مما ابتلى المسلمون به، فهو:

إذا ما أتني أزمة مدلهمة تحيط بنفسي من جميع جوانب

لطلبت هل من ناصر أو مساعد ألوذ به من خوف سوء العواقب
 فلست أرى إلا الحبيب محمداً رسول إله الخلق جم المناقب (٢)
 فهذه أول ما نظمت - حسبما اطلعنا - من الشعر العربي في شبه القارة
 وهي توحى بالاتجاه السياسي، لأن الذي بعث قائلها على النظم، سوء الأحوال
 السياسية وتقلب الدهر على المسلمين الذين كانوا أهل سلطة وملك في هذه
 المناطق منذ ألف سنة.

ومن شعراء شبه القارة الذين بدت في أشعارهم روح المعارضة ضد النفوذ
 الأجنبي عبدالعزيز الدهلوي (المتوفى سنة ١٢٣٩ هـ) وفضل الحق الخير آبادي
 وإعزاز علي السيويندي (المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ)، ونذير أحمد الدهلوي،
 وعبدالله الكوكني، وحميد الدين الفراهي.

فمن قصيدة نذير أحمد الدهلوي التي نظمها في قديم الأمل حبيب الله
 ملك أفغانستان وقد ذكر فيها الأدواء التي أصيب بها مسلمو عصره وتسببوا
 للزوال ويصف لهم الدواء:

إننا لفي زمن في أهله خُبل لا يُحسنون اكتساب العلم والطلب
 لاسيما المسلمون الغافلون فهم يرجون أجراً ولا يقضون ما وجبا
 ويظهر رأيه في زوال الحكم الإسلامي قائلاً:

اللّه قدير في الدنيا بحكمته لكل واقعة أو حادث سببا
 الأمر والحكم أيام مداولة بين الخلائق والدنيا لمن غلبا
 ويحثهم على التعرف بأنواع جديدة من السلاح وهو يقول:

أما الحديد فقد زالت مهابته كن حامل السيف أو من تحمّل الخشبا
 لا يعصمك من ضرب البنادق لا وإن تطبقت تحت الجوشن البلبا (٣)
 فهذه نصيحة من مسلم غيور على إيمانه وقلبي على بؤس قومه بسبب
 أدواء ذكرها.

ومن الشعراء الذين بدت في أشعارهم روح المعارضة ضد النفوذ الأجنبي أشد السيد فضل حق خير آبادي وقد عاش فترة توسع فيها الاحتلال الإنجليزي وغلب الحركات المقاومة له، وكان الشاعر من المعارضين فأصابته بعض المحن أثناء وقائع ١٨٥٧ م وابتلي بالنفي من الوطن والبعد عن الأهل والعشيرة فأنشأ ثلاث قصائد يسجل فيها أهم ما وقع أثناء الثورة وما جرى بين الفريقين وما انتهى إليه الأمر، وهي سجل تاريخي لهذه الواقعة المهمة وقد ألف كتاباً باسم "الثورة الهندية" وهو تاريخ موجز لهذه الحرب كتبه بلغة عربية خلال أسره بجزيرة "اندمان" في ١٨٦٠ م (٤) أما بالنسبة لقصائده الثلاثة التي نظهما بنفس الغرض وهي تهمنى في هذا المقام فقد نشر الشيخ عبدالشاهد خان الشيرواني اثنتين منها في خاتم كتابه "باغي هندوستان" (٥) أما ثالثها وهي القصيدة النونية، أشار إليها الشاعر في مؤلفه السابق ذكره حيث يقول: "و كنت قد نظمت قبل قصيدة في قوافي النون فريدة كالدر المكنون كل بيت منها بيت القصيدة بل بيت مشيد عمد أبياتها ثلاث مائة". وإليك مطلع القصيدة:

ماناخ أورك في أوراق أشجان إلا وهيج أشجاني وأشجاني
بعد ما يذكر ابتلاله بالمحن وشلة أزمته يأخذ في ذكر تسلط الاحتلال النصراني
على الهند، قائلاً:

عمت علينا حميث الحب حادثة عمت و طمت علينا طم طوفان
وتلك أن النصراني كان نيتهم تنصير من في الوري من أهل أديان
ويصف - في عمدة أبيات - طرق السيطرة والتسلط إذ يقول:

رأوا سلاطين أرض الهند قد وهنوا باللهو بالملاهي كل لهيان
فحاولوا حول الأديان من حول حالت فآلت إلى خسرو وبطلان
دعوا جهاراً إلى التثليث عسكرهم وجل عسكرهم عبّاد أوثان (٦)

وحميد الدين الفراهي يمكن اعتباره الشاعر المقاوم أو الشاعر السياسي الوحيد على تعبير أدق في أدب شبه القارة، فالفراهي المتوفى ١٣٤٩ هـ لم ينظم كثيراً في أغراض عصره كالمليح والرثاء والمواظ بل كان معظم شعره في السياسة وقد جمع بدر الدين الإصلاحي قصائده العربية كلها في ديوان خفيف وطبعه عام ١٩٦٧ م. ولقد كانت أحوال السلطنة العثمانية في أواخر عهدها، والحرب بين إيطاليا وليبيا وثوراة البلقان هموماً إسلامية آرتت شاعرنا فنظمها في قصائد عديدة وربط كل هذه الأحداث بوضع العرب خاصة والمسلمين عامة يقول:

كيف القرار وقد نكس	أعلامنا بطرابلس
كيف القرار وحولنا	الأعداء ترتقب الخلس
من كل ذنب إن رأى	من عزة فينا اختلس
أو أفعاون مطرق	إن لم يبادره نهس
نبكي على إخواننا	بين القليل ومن حُبس

ثم بعد ذكر سوء حال المسلمين وما اعتري الإسلام وأهله من ضعف ونقص يقول يحثهم على الجِدِّ والجهاد والإقدام:

هل ترتضون بذل دينـ	كم وليس بملتبس
والله لا نرضى به	مادام فينا من نفس
فاليوم إن لم تدفعوا	فليأتين يوم نحس
إنى أرى فتناً تمـ	ج وقد ظهرن لمن حملس (٧)

لقد كان تقسيم الهند وتأسيس باكستان أهم حدث في القرن العشرين في شبه القارة، ولا بد من أن هذا الحدث أسعد أناساً كما ألم آخرين، لكن الحدث نفسه لم يهز مشاعر من انفعل به كما هزها موت البطل المؤسس محمد علي جناح في ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٨ وبعد تأسيس الدولة بعام كامل، ولقد كان من الطبيعي

أن تحرك قرائح الشعراء تلك المذابح التي وقعت ضد المسلمين أثناء التقسيم، وهجرة الهند وس إلى مناطق أكثر يهتم في الهند وترك المسلمين دورهم ومتاعهم في الهند ورحلتهم إلى باكستان ليقيموا في مخيمات ويبدأوا حياة جديدة، ولقد كان من الطبيعي أن تثير نشوة النصر بتأسيس دولة للمسلمين نفوس الأدباء فيسجلوها لنا شعراً ونثراً، لكن هنا كله لم يحدث وهذا الذي حمل بعض الباحثين على القول بأن الأدب العربي في شبه القارة ليس أدباً طبيعياً يخاطب أهل مجتمعه، (٨) ومع هذا فقد وجدنا ذكر شيء من هذه الوقائع عند الدكتور صوفي محمد ضياء الحق المتوفي عام ١٩٨٩م وإن كان هنا الأثر مذكوراً ضمن قصيدة في رثاء مؤسس باكستان محمد علي جناح. يقول الدكتور صوفي:

أصاب الموت قائدنا الجناحا	بعقوتنا غراب البين صاحبا
علاصوت الجميع بوا صباحا	إذ الناعي نعاها لنا صباحا
فلم يجدوا من القدر البراحا	رمى الحدثنان قوم المسلمينا
عليه بقلبه بكي وناحا	وما من مسلم في الدهر إلا

ويقول عن سياسته وسعيه في تأسيس باكستان :

فإن الله أعطاه الكفاحا	مسلمة سياسته لديهم
وفكر في المقاصد واستلاحا	تبصر في أمور الملك حيناً
من الملكوت كي نجد النجاحا	فطالبهم على حدة نصيبا
وكان له من الميثاق تاحا	سعى لحصول باكستان سعياً
وصير عقله الصافي سلاحا	وأعمل رأيه لحصول هذا
عوائق كلها لكن أراحا	وحالت دون مقصده العزيز
وأخرج عن رؤوسهم المراحا (٩)	برغم الأنف منهم صار ملكا

وكما انفعَل الدكتور صوفي رحمه الله بموت جناح، انفعَل أيضاً

بالحديث عن الوحدة الإسلامية وهي حلم يراود أهل باكستان أكثر من أي شعب آخر، لكن هذا الانفعال مرة أخرى يصاغ في شكل قصيدة مدح يستقبل بها الملك السعودي فيصل بن عبدالعزيز في مؤتمر القمة الإسلامي الذي عقد في مدينة لاهور عام ١٩٧٤م يقول فيها:

أياضيفنا أهلاً وسهلاً ومرحباً	عليك سلام الله ما هبت الصبا
ويا زائراً من أرض أكرم بدمية	لها الذكر ما أحلاه فينا وأطيبا
حدي بك من بعد هوى للقاء نا	صنيعك هذا لم يكن مترقبا
لقد سرنا أن قلوبنا طنت بلادنا	وقد هزنا والله هذا وأطربا
أيا فيصل الملك المعظم لم يكن	لكم نقض أيمان الموالاة منهدبا
أنا العلو بغتة متأسماً	ولما رآكم ناصرين تشعلبا
وما كان ريح الوعد بالنصر قلباً	ولا برق ميثاق الصداقة خلباً
فصارت بلاد المسلمين جميعها	بجهدك جسماً واحداً متركباً
سعيك لتوثيق الروابط بينها	فصرت إلى كل القلوب محبباً
ولا زال دين الله يسمو ويرتقي	بآل سعود السعد شرقاً ومغرباً
ويارب شئت شمل أعدائه ولا	تذر موطن الكفار إلا مخرباً (١٠)

فالشاعر نسي ما هو أهم من استقبال الضيف ومدحه من أحداث خلال المؤتمر الذي يعتبر معلماً من معالم التاريخ الحديث في باكستان لما صاحبه من ظروف دولية وداخلية، وإن كان ثمة من دلالة فهي أن أدباء العربية في شبه القارة وباكستان غالباً لم يفرّدوا للأدب السياسي (أدب المقاومة) موضوعات مستقلة برأسها وإنما نظموا ماشاءوا من ذلك في أنسجة قصائد المدح أو الرثاء.

أما شعر المقاومة في باكستان بعد استقلالها عن الهند فهو امتداد لما نظمته شعراء شبه القارة في هذا المجال. ومن الشعراء الباكستانيين الذين طرّفوا

هذا الباب في شعرهم العربي أصغر علي الروحي وظفر أحمد العثماني ومحمد ناظم الندوي وبير محمد حسن والدكتور خورشيد حسن الرضوي والمفتي سعيد أحمد حسن ، وقضية فلسطين وأفغانستان وكشمير والعراق والشيشان من أهم القضايا التي تناولها شعر المقاومة في باكستان .

ومن شعراء المقاومة في باكستان الذين أفردوا قصائد مستقلة في هذا الباب الشيخ ظفر أحمد العثماني وقد أنشد قصيدة عن جهاد فلسطين بمناسبة يوم فلسطين في مايو ١٩٤٨م .

من عند ناعمة القوام كعاب	جاء البريد على الهوا بكتاب
من آل عثمان ذوي الأحساب	نفسى وما بيدي فلما مصرية
من بعد طول تبطل وعتاب	يامنية العشاق كيف رثيت لي
من قوم دجال وجوه كلاب	قالت دعوتك كي تظهر ساحتي
في العالمين مدنسي الأثواب	من معشرباء وا بلعنة ربهم
من عند ربي سيد الأرباب	جاء وا وقد ضربت عليهم ذلة
لعنوا الآخر هله الأحقاب	جاءت أميركا لنصرة معشر
وترد نصرته على الأعقاب	من ينصر الملعون باء بلعنة
من ناصرنا معشر الأحزاب	من يلعن الله فلن تجدوا له
سارت إلى إخواننا الأعراب	نرجو الإله ولا نخاف كتيبة
ويشينا في الأجر خير ثواب	يكفي الإله المؤمنين قتالهم
فليغلبن مغالب الغلاب	جاءت يهود لكي تغالب ربها
أعلماء كم ضرباً بغير حساب	يامعشر الإسلام قوموا واضربوا
بيت المقدس من يمالخلاب	يا قومنا قوموا إليهم وانزعوا
لنكال كل مكذب مرتاب	طوبى لقوم قُدموا فتقدموا

يامعشر العرب الكرام فديتكم
 أنتم جنود الله في يوم الوغى
 يا قوم لا تهنوا ولا تخشوهم
 بعداً وسحقاً لليهود ومن أتى
 الله ينصركم على أعدائكم
 هذي فلسطين لنا من غير ما
 ثم الصلوة على النبي محمد
 لا يغلبنكم اليهود بباب
 أنتم أسود في صريمة غاب
 و امحوا ظلامهم بضوء شهاب
 معهم يريد غنائم الأسلاب
 ويبيدهم حقاً بشر عقاب
 ريب عطاء مليكنا الوهاب
 خير الورى والآل والأصحاب (١١)

ويمكن اعتبار محمد ناظم الندوي الشاعر المقاوم من شعراء باكستان
 حيث نظم عدة قصائد حول قضية فلسطين وأخلاق اليهود وميثاق السلام الذي
 عقد بين الحكومة المصرية والحكومة الإسرائيلية وفيما يلي أبيات من قصيدته
 التي مدح فيها المجاهدين الفلسطينيين عندما توغلوا إلى تل أبيب عاصمة إسرائيل
 وفتكروا بها وقتلوا من قتلوا وجرحوا عدداً واستماتوا واستشهدوا.

من أجلى عن الديار
 وأذيق برؤساً وافتقار
 وأصابه كل الضرار
 نفرروا وحق لهم نفار
 قدماً مضوا نحو الوغى
 لم يحجموا دون المدى
 يحمي وطيس للنضال
 لهم انقضاض كالصقور
 وطق اطق البنادق
 وقمعاقع المدافع
 وعن المزارع والعقار
 وسيهم ذلاً والصغار
 كيف يقر له القرار
 من كل صوب بالديار
 أقدام أسد بالشرى
 حيث ممات أو على
 حيث تدور رحى القتال
 ولهم هجوم كالنمور
 عند القتال بمأزق
 في ساحة المعامع

أحلى لهم بمسامع	من أي صوت السامع
القتل أحلى حلمهم	والموت أشهى سؤلهم
من عيش ذل في الأسار	في دار هون والصفار
وسرروا إلى تل أبيب	بين الحديد واللهيب
وتجاوزوا حرس اليهود	قديماً حليماً للجنود
وتوغلوا ونكلوا	بالغاشمين وقتلوا
رمياً شديداً بالبنان	عزماً قويماً في الجنان
ضرباً وجيعاً للطفلة	طعناً أليماً في البغلة
قتلاً ذريعاً للئام	فتكاً شديداً بالطفام

فهذه الأبيات ذكرى لأولئك الأبطال الذين كتبوا تاريخ البطولة بدمائهم

وقال يمدح المجاهدين ويحسبهم على الإقدام والجهاد :

أنتم قنابل لانفجار	على الصهاينة الشرار
أنتم بنادق والرصاص	أنتم كتائب للقصاص
لاتسلموا لمن ظلم	هم شر شعب في الأمم
أخزي البرية منذ قدم	نقض العهود والذمم
أنتم على الحق المبين	وعلى الصراط المستبين
فامضوا طراداً من غصب	من أرضكم ومن نهب
أن اليهود لا تسود	أن اليهود لن تسود
ولى الظلام المدلهم	وبدا الصباح المبتسم
بشورى لكم فتح مبين	والحكم في بضع سنين (١٢)

ولناظم النملوي قصيدة أخرى باسم أخلاق اليهود، بين فيها أخلاق اليهود

وفعلاتهم الشنيعة منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا :

قد زينوا كل الفساد	باسم الصلاح والرشاد
--------------------	---------------------

فسرى الفساد في الأمم كالنار شبت في الحمم
شر الربوا بهم انفجر وطم سبلاً واستقرر
قد مهدوا طرق الرشاشا وآتقنوا نظم الربوا

ويختم قصيلته هذه بعد عداد مساوي اليهود بالأبيات التالية:

لهم الجلاء واغتراب لهم العفاء والتباب
لهم العذاب في الكتاب بئس المصير والمآب
هم شر خلق في الورى لهم الخزية والردى
لهم الفضيحة والصغار لهم الهزيمة واللمار
لعنوا بألسن أنبياء فلهم مصير الأشقياء
من يتخذهم أولياء يخز سوءاً بسواء
لهم المجاجة والحميم لا بارد ولا كريم
من حظه ذا لا يسود أن اليهود لن تسود (١٣)

ولما بلغ ناظم النملوي نبأ ميثاق السلام الذي تم عقده، تحت إشراف الرئيس الأمريكي كارتر، بين حكومة مصر وبين الحكومة الإسرائيلية ووقع عليه الفريقان، جاشت على أثره قريحته بالأبيات التالية وما هي إلا زفرات من صدر مسلم غيور ونفثاته على ما أصاب الجسد الإسلامي من جروح وكلوم وما ناله من ذل وهوان لأجل سياسة الأثرة والاستبداد التي اتخذها بعض الساسة والقادة في بلاد الشرق الأوسط. ووجه هذه القصيدة إلى من تولى هذا الأمر وقام بهانه المغامرة أو المؤامرة التي لا يعلم مصيرها إلا الله تعالى:

كيف وثقت بأمة خوان وصفت بنقض العهد في القرآن
نشأت على الشقاق والعصيان وبغت على شريعة الرحمن
مردوا على النفاق والكفران وجزوا بسوء الناس للإحسان
عرفوا بقتل الأنبياء ضلالة وذاك ديدنهم مدى الأزمان

ويوجه التأييب الشديد إلى من تولى عقد هذا الميثاق فيقول:

كيف ركنت إلى العدو الجاني وقطعت من كانوا من الإخوان
 باعدت ذا القربى من الجيران لم يخذلوك قط في الحدتان
 وصرمت من كانوا من الأعوان معاهداً غدرأ من المؤبان
 ترجو وفاء العهد منهم عجباً تبغي برود الثلج في النيران
 ويختتم قصيدته هذه معاتباً الحكومة المصرية لمصالححتهم الحكومة

الإسرائيلية بالأبيات التالية :

كنت المرجى في الدفاع عن الحمى ومدره الأقوام في الحملتان
 وتفرق الشمل الجميع بفعلة هبطت بمجدك من ذرى فاران
 وغدوت في أيدي اليهود كلعبة يلهو بها الفتيان في الميدان
 بل صرت كالكرة التي تعلق وتس فل حسبما ترمي بها القدمان
 فإذا خذلت فلا تلوم من غير نف سك التي أقصتكم عن أعوان
 فلتند من ولات ساعة مندم ولتذكرون طبعاً مع الخوان
 والمجد يكتب بالمداد من الدما مهراقفة من مهجة الشبان
 والعز يحبر بالدماء كغرة في جبهة التاريخ للشجعان (١٤)

ومن الشعراء الباكستانيين الذين تناولوا قضية فلسطين في شعرهم العربي

الدكتور بيير محمد حسن حيث يقول يمدح المسلمين المجاهدين بفلسطين :

هل سمعتم عن رجال النيل كيف لقوا حتوفهم في إيل
 ضربوا في الله بالسليل ضرباً يزيل الهام عن مقيل
 وكم لهم من جمعهم قتيل و أوثقوا بالحبل والجميل
 هل يهرب الأحرار بالوبيل والله ما ذلك بالجميل (١٥)

إن قضية أفغان هي الأخرى التي تشير قرائح شعراء باكستان بما فيها من

أحداث سياسية منذ قديم ومن الشعراء الذين تناولوا هذه القضية الدكتور خورشيد حسن الرضوي فيقول في قصيدة له يمدح بها المجاهدين الأفغان:

أإخوتنا الأفغان فيكم بسالة وفي دار أهل الكفر منها زلازل
رد دتم ببأس كيدهم في نحورهم ولم تخضعوا للخطب والخطب هائل
أقمتم بضرب السيف زيغ قلوبهم وبالسيف تترتاض النفوس الموائل
يهابونكم رغم الهزال بلما بكم وتخشى الكلاب الليث والليث ناحل
أباة كرامة لا تفل سلاحكم حوادث دهر خائن وغوائل
إذا مسكم جهد البلاء تناثرت بقلبي أمان كالزهور ذوابل
وفيكم خصال للمديح كثيرة وما عندنا إلا قواف قلائل
وتدعولكم عن ظهر غيب مودة شعوب تناجي ربها وقبائل
يغمركم في الحرب فوز ونصرة فتعلونهم، لن يغلب الحق باطل (١٦)

وقال المفتي سعيد أحمد يعبر عن عواطفه عن المجاهدين المستشهدين

في قرية دشت ليلي من بلاد أفغانستان من قبل القوات الأميركية الغاشمة:

ثمار دماء قد سقطت أرض رفعة فتبدو كورد في العيون النواظر
دماء يفوح المسك منها فوحة تلوح عيانا كالنجوم البوادر
فيا "دشت ليلي" قد بخلت ببقعة تحوز عظامي في ربي كالبيادر
فيا رمل ليلي غبطة جاش في دمي بقتلاك صرعى في مهب الصراصر
ويا سهل ليلي احتضنت بمعشر خيار كرام صفوة في المعاشر
سلام ضحايا دشت ليلي عليكم سلام أوفاً من خلال المشاعر
أيا طالبان الدين أبقاكم الإله لتمزيق أمريكا كروس المكابر (١٧)

ومما قاله عن أوضاع شيشان وما ابتلي بها المسلمون من محن وفتن في

قصيدة بعنوان "أبشر ياشيشان":

أبشر أبشر ياشيشان سوف ينجيك الرحمن

سوف ينير الميجورا
سوف تنكشف الأغمام
ربي يردي الأعماء
سوف ينجح حزب الله
جاهد جاهد يا شيشان
جاهد حتى يحرقهم
قطع أعناق الكفار!
فاصبر وعد ربي حق
ويقول متحسراً على وضع الأمة وما أصابها من وهن وتكاسل في قصيدة

له بعنوان "أشبّ الأمة الغراء ... خبّر":

تفاقم وضع أمتنا شليد
حبائل حولها من كيد خصم
كتاب الله حذرنا حذارا
لقد نسيت عداوة حاسديها
فطار الدين من يدها ودنيا
فمانالت سوى خفي حنين
قد انتهب المتاع لها نهارا
أضاعت مجد أجداد كرام
لقد نفضت يديها من سياد
فيا أسفاً على حطام وثن
أراض حلها غصب ونهب
وصهيون يغير على بلاد
لهافي كل مسلكها سدود
ومنه على جوارحها قيود
أشد لها عداوة اليهود
فتلك عهدوها بنس العهد
فلم تدرك وأخلفها القعود
تجر ندامة أسفاً تقود
عياناً وهي أغفلها الرقود
تراث طار منها هل يعود؟
وشتت شملها الأمم الحسود
أمام عبيدها منهم سجود
وسيطرة تقوم بها العنيد
وسفاك يزيد ولا يجيد

وعطشان الدماء كمثل ذئب
 أشبّ الأمة الغراء خبّر
 سماح الدمع دعها للنساء
 فمالك لا تقاتل في سبيله
 فلولم تسع للضعفاء سعيًا
 فعدت عن الحفاظ لدين حق
 قطيرات من الدم لو أريقت
 تيقظ واغتنم ربح جليل
 فحاول واجتهد وابلل بروحك
 و كلب بل وخنزير لبلود
 وقل أدموع تمساح تفيده؟
 فأنت حفيد من بدم وجود
 ومالك لا تفوز لك الجهود
 أخاف من أن يحل بك الوعيد
 وأنت لحفظه ركن شديد
 فاسمك عند مولاك الشهيد
 شراء نافع رأي شهيد
 لملك السنية ياسعيد (١٩)

ومن شعراء المقاومة بباكستان رشيد أحمد وفيما يلي بعض أبياته يقاوم
 فيها العدوان الأمريكي على بلاد أفغانستان وما أرادته الجيوش الأمريكية من
 اغتيال أسامة بن لادن :

صواريخاً بكابل أطلقوها
 تريد صراع سيدنا "أسامة"
 فليس الموت قبل الوقت يأتي
 أتقصديا ابن شيطان "أسامة"
 لدى "عمر" أمير المؤمنين
 وتدخل جنده بخليج مكرًا
 إلى كم ذا التجاوز والتعدي
 إلى كم ذا التفاخر والتعلي
 فأنت الجائر الظلام ممن
 لأمرىكان ويل
 لإسرائيل ويلات تقيم
 وليس لهم بما فعلوا دليل
 فهل لمرامه الكذب السبيل
 وأمريكا الجهول به عجول
 ورب العالمين له كفيل
 وجمع الطالبان له نزول
 ولم يأذن بذا الأمر الرسول
 بحرمتنا وأنفسنا تعول
 إلى كم ذا التجاسر ياجهول
 عن العدوان ليس له عدول
 وويل لليهود فلا يزول
 بمنزلهم فلا عنها تحول (٢٠)

ومن الشعراء الذين اقتحموا هذا المجال السيد رزين شاه حيث يذكر بؤس
المسلمين وما شملهم من وهن وضعف في بلاد البوسنة وفلسطين وكشمير فيقول:
أحاط الكفر بالآفاق طرا فهل من بأسل منا يذود
فعباد المسيح ترى ببسنا على الإسلام ظلمهم شديد
وبيت القدس في أيدي اليهود وفي الكشمير يهلكنا هنود
تعالوا حاربوا الكفار جما فإن جلوسكم ذالا يفيد
ألياً أيها الإخوان قوموا فإن اليوم لا يجدي القعود
دعوا الدنيا وما فيها متاعا فليس لهذه الدنيا خلود
فقوموا للجهاد ونصر دين فإن الله منكم ذا يريد
رزين يسأل المولى نجاحا هو المولى ونحن له عبيد (٢١)

إن قضية العراق من القضايا التي شغلت خواطر شعراء العربية بباكستان
فنظموا قصائد فيما دار من العدوان الأمريكي على دولة العراق فيقول محمد حسين

إقبال في وصف الحرب التي نشبت بين العراق والأمريكا وأحلافها في ١٩٩١ م

يا قلب صبراً في مجال بلاء لاتجز عن من كثرة اللاواء
دع ذكر "أقوام" فإن قلوبهم أبداً مع الأمراء والكبراء
عرج على بغداد مهد حضارة والكربلاء "حديقة الزهراء"
قف عند صدام ملياً إنه أسد وحيد حامل الأعباء
زين الملا غيظ العدى لبقاءه مرفوعة أيدي الورى بدعاء

ويستطرد في قصيدته هذه ما فعلت القوات الأمريكية وأحلافها من اعتداء
على الأنفس والأعراض والأموال ويختم قصيدته بحث المسلمين على الإقدام
والجهاد فيقول:

دخلت بلاد العرب أنجاس الدني بمكيمة ودسيمة ودهاء

واستنفروا من كل صوب عسكريا
ويظن أهل الرأي أن الكافريـ
فتقدموا نحو الكرامة والعلـ
عمالاً بـ "واعتصموا ولا تتفرقوا"
لا تيأسوا من روح ربكم الذي
والله ينصركم على أعداءكم
فما استنجدوه على نزول بلاء (٢٢)

وقضية كشمير من تلك القضايا الساخنة بين باكستان والهند، والتي
أثارت مشاعر الشاعر الباكستاني صابر الكشميري فجادت قريحته بأبيات تالية
بعنوان "كشمير يا حبي الكبير".

ماعدت يا "كشمير" أحتمل انتظارا / أشتاق للزهر الجميل
وللزنايق... / عطري غدا ربح البنادق
سكني هنالك في الخنادق / أشتاق للورد الندي والخنادق
من زهر "جامو" كم يفوح الياسمين / تمضي السنين...
ماعدت يا "كشمير" أحتمل اصطبارا / أججت في الأرواح أشواقاً ونارا
"كشمير" يا وطني الكبير / وضممت روحك نحو صدري
واحتضنت قصائد الحب الأخير / "كشمير" يا حبي الكبير
أنت الحياة الخالدة / "بدغام" ... "كبواره" ... و"جامو"
وجميع أرضك عائله / تحنو إليها الأفتدة
وقصائدني سجن كبير / هل نلتقي "كشمير" في ساح النفير؟
هل نلتقي / رغم الحرائق والدخان؟
وجنودهم / قد دنسوا طهر المكان؟
هنلوس يا صنو الهوان؟ / آتيك يا "كشمير"

أحمل جثة ... / كم قبلة فيها
 مضمخة بدم الشجاعة / يا أيها الهندوس
 ياشراً تطاير تحت قاع الطين / إن حكم الشر ساعة
 ودولة الحق المتين / الله حافظها وحاميتها
 إله العالمين / "كشمير" يا حبي الحزين
 روعي هي الأرض البريئة / أشتاق للزهر الحنون
 ونسير نحو حدود "جامو" / فنقطع السلط المكهرب
 ونفجر اللغم اللعين / ليفوح زهر الياسمين
 "كشمير" يا حبي المدين (٢٣)

هذا ونكتفي بهذه النماذج البسيطة في هذا البحث فهي غيض من فيض .
 يتضح من الدراسة السابقة مايلي :

— أدب المقاومة "هو الأدب المعبر عن الذات (الواعية بهويتها) و
 (المتطلعة إلى الحرية)... في مواجهة الآخر العدواني، على أن يضع الكاتب نصب
 عينيه جماعته وأمته، ومحافظةً على كل ما تحفظه من قيم عليا... وليس متطلعاً إلى
 الحرية بمعنى الخلاص الفردي".

— بدأ شعر المقاومة في شبه القارة في عصر كانت دولة المسلمين تنهار،
 وبساطهم يطوى على أيدي الإنجليز المحتلين

— من شعراء شبه القارة الذين بدت في أشعارهم روح المعارضة ضد
 النفوذ الأجنبي الشاه ولي الله الدهلوي وعبدالعزیز الدهلوي (المتوفى سنة
 ١٢٣٩هـ) وفضل الحق الخیر آبادي وإعزاز علي الديوبندي (المتوفى سنة
 ١٣٧٧هـ)، ونذير أحمد الدهلوي، وعبدالله الكوكني، وحميد الدين الفراهي.

— شعر المقاومة في باكستان بعد استقلالها عن الهند امتداد لما نظمه شعراء

شبه القارة في هذا المجال . ومن الشعراء الباكستانيين الذين طرقتوا هذا الباب في شعرهم العربي أصغر علي الروحي وظفر أحمد العثماني ومحمد ناظم الندوي وبيرمحمد حسن والدكتور خورشيد حسن الرضوي والمفتي سعيد أحمد حسن .
 - قضية فلسطين وأفغانستان وكشمير والعراق والشيشان من أهم القضايا التي تناولها شعر المقاومة في باكستان .

— تناول هؤلاء الشعراء القضايا المذكورة من الوجهة الإسلامية باعتبارها قضايا إسلامية خالصاً ويتحمل مسؤوليتها المسلمون جميعاً وأكثروا على أن العلاج الوحيد لضعف المسلمين العودة إلى الإسلام والعمل بأحكامه وإعلان الجهاد .



الهوامش

- (١) عبدالعزيز نجم : إطلالة في تعريف أدب المقاومة، موقع اتحاد كتاب الإنترنت العرب www.thaqafa.org ، والسيد نجم : أدب المقاومة ومتغيرات العصر، مجلة أفق الثقافية على الرابط التالي www.ofouq.com
- (٢) عبدالحى الكهنوي: نزهة الخواطر وبهجة المسامع. الطبعة الأولى. حيدرآباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٤م. ج ٦ ص ٤١٠- وولي الله، الشاه. أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم. كراتشي، مكتبة لدهيانوي ، ١٩٩٦م، ص ٢٦-٢٩
- (٣) عبدالحى الكهنوي: نزهة الخواطر ، ج ٧ ص ٤٩٦-٤٩٧
- (٤) قمر النساء: العلامة فضل الحق الخير آبادي، المطبعة القادرية لاهور، سنة ١٩٨٦م، ص ٢٢٣
- (٥) المرجع نفسه، ص ٢٢٣ (باغي هندوستان ترجمة أردية للثورة الهندية، وأنلمان جزائر في المحيط الهندي نفى إليها الإنجليز من قبض عليهم من أعيان الثورة.
- (٦) المرجع نفسه، ص ٢٣٤

- (٧) ديوان حميد الدين الفراهي، باكستان ١٩٦٧ م، ص ٨ - ١٠ وأحمد إدريس: الأدب العربي في شبه القارة حتى نهاية القرن العشرين، إسلام آباد ١٩٩٣ م، ص ٣٩ - ٤٠
- (٨) أحمد إدريس: الأدب العربي في شبه القارة حتى نهاية القرن العشرين، ص ٢٦
- (٩) أحمد إدريس: الأدب العربي في شبه القارة حتى نهاية القرن العشرين، ص ٢٦
- (١٠) بشرى أسماء. "د. محمد ضياء الحق الصوفي، ديوانه وخدماته". رسالة ماجستير، القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، عام ١٩٩٥ م. ص ١٦٢ - ١٦٣
- (١١) البلاغ، (ربيع الثاني ١٣٨٧ هـ): ص ٥٣
- (١٢) الندوي، محمد ناظم، باقة الأزهار. كراتشي: دارالتأليف والترجمة، (بدون التاريخ)، ص ٢٧ - ٢٨.
- (١٣) الندوي، محمد ناظم: باقة الأزهار، ص ١٥ - ١٧.
- (١٤) راجع للقصيد بأكملها: باقة الأزهار، ص ١٨ - ٢٠
- (١٥) مجلة دعوة، المجلد ١٠، العدد ٤٩، (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م)، ص ١١ - ١٢
- (١٦) مجلة أفغانستان، (يوليو ١٩٨٧ م): ص ٢٣ - و إدريس، أحمد الدكتور: المرجع نفسه، ص ٣٨.
- (١٧) مجلة الفاروق، السنة ١٦ العدد ٥٩ (محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٢٠ هـ): ص ١٠
- (١٨) مجلة البيّنات، السنة الخامسة - العدد الثاني، (ربيع الثاني - جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٤٢١ هـ): ص ٢٣.
- (١٩) مجلة الفاروق، السنة ١٦ العدد ٥٨ (شوال، فوالقعدة، فوالحجة ١٤١٩ هـ): ص ١٣
- (٢٠) المرجع نفسه، العدد ٥٩، (محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٢٠ هـ): ص ١٣ - ١٤
- (٢١) مجلة الفاروق، السنة التاسعة العدد الخامس والثلاثون، (محرم - صفر - ربيع الأول ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م): ص ٨
- (٢٢) حديث النفس، المجمع العربي الباكستاني لاهور، ديسمبر ١٩٩٥ م، ص ٧٣ - ٧٦
- (٢٣) مجلة الفاروق، السنة ١٨ العدد ٦٣ (محرم - صفر - ربيع الأول، ١٤٢١ هـ): ص ٦

